

## المنهج الأثري في التفسير (مقارنة بين تفسير الطبري وابن كثير)

### "The Archaeological Approach in Interpretation (Comparison between the Interpretation of Ṭabarī and Ibn Kathīr)".

نور الهداية بنت محمد زين<sup>٢</sup>

نشوان بن عبده خالد<sup>١</sup>

Nurul Hidayah Binti Mohd Zain

Nashwan Abdo Khaled

#### ملخص البحث

تناولت هذه الدراسة موضوع "المنهج الأثري في التفسير (مقارنة بين تفسير الطبري وابن كثير)"، حيث يعتبر المنهج الأثري من أقدم المناهج التفسيرية، وأكثرها شيوعاً. ونقصد بالمنهج الأثري في التفسير ما يعرف بالتفسير بالمأثور. يعتبر التفسير بالمأثور أهم أنواع التفاسير على الإطلاق إذا صحت روايته ونقله، وسلمت ضوابطه من عدالة الناقل، وصحة النقل متناً وسنداً. ويوضح هذا البحث منهج الطبري، وابن كثير، والفرق بينهما، فكلاهما ينتمي إلى مدرسة التفسير الأثرية. وقد سلك البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي. ومن أبرز النتائج التي توصل إليها البحث: أن الإمامان اتفقا في تفسير القرآن بالقرآن والسنة النبوية والمأثور عن السلف الصالح. وكذلك امتاز الإمام ابن كثير بسهولة عباراته وإيجاز صياغته في التفسير من الإمام الطبري. وأيضاً أن الإمام الطبري يورد بعض الأحاديث الضعيفة بدون مناقشة لها أو تضعيف في الغالب أما الإمام ابن كثير يقلل من ذكر الأحاديث الضعيفة، ويناقشها ويبين ضعفها في كثير من المواضع.

**الكلمات المفتاحية:** المنهج، الأثر، الطبري، ابن كثير، التفسير

<sup>١</sup>. أستاذ مساعد في قسم القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية، كوالالمبور، ماليزيا. (Nashwan@ium.edu.my)

<sup>٢</sup>. طالبة ماجستير في قسم القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية، كوالالمبور، ماليزيا. (nurulhidayahmohdzain@gmail.com)

### Abstract

This study deals with the topic of "The Archaeological Approach in Interpretation (Comparison between the Interpretation of Ṭabarī and Ibn Kathīr)". The archaeological approach is one of the oldest and most common of the interpretive approaches. This interpretation is considered the most important types of interpretations as it all true and authentic. This study will discuss about the method of Ṭabarī and Ibn Kathīr in their Tafsīr, and the difference between them, both belong to the School of Interpretation archaeological. This study also divided into introduction, brief interpretation of Ṭabarī and Ibn Kathīr and then developed a comparison between them, and through the use of the method of inductive and analytical, will came up the summary of the method of their interpretation that concluded a comparison that was made between the two methods and the conclusion with an important note:

- 1- The two imams agreed in the interpretation of the Qur'ān by Qur'ān and by Sunnah and the proverbs on the righteous advances.
- 2- Imam Ibn Kathīr easily discerned his words and summarized his formulation in the interpretation than Imam Al-Ṭabarī.
- 3- Imam Al-Ṭabarī narrates some of the weak hadīths without discussing them or weakening them often. Imam Ibn Kathīr does not mention the weak hadīths, and discusses them and shows their weakness in many places.

**Keywords:** Methodology, Narration, Ṭabarī, Ibn Kathīr, Tafsīr.

### المقدمة

إن استخدام المنهج في كل علم له أهمية خاصة لأن تعلم المنهج الصحيح والإستفادة منه يوصل الإنسان إلى هدف العلم. في حين يفضي عدم الإستفادة من المنهج الصحيح، أو الخطأ فيه إلى الإبتعاد عن هذا الهدف. ولا شك في أن فهم التفاسير والإستفادة منها، مرهون بمعرفة مناهج التفسير، وكذلك فإن إيجاد تفاسير منهجية مفيدة وكاملة، لا يكون ميسراً إلا في ظل معرفة هذه المناهج. وتعددت مناهج التفسير والمفسرين ومدارسهم واتجاهاتهم، على مدار التاريخ الإسلامي.

وقد قسم هذا البحث إلى مقدمة، ومدخل يتناول فيه ترجمة الطبري والتعريف بكتابه وترجمة ابن كثير والتعريف بكتابه أيضاً، ثم بيان منهجي الطبري وابن كثير في التفسير، مع مقارنة بينهما، وذلك إسهاماً في بلورة شيء من هذه المناهج الرائدة في تفسير القرآن الكريم.

مر المنهج الأثري في التفسير منذ عهد رسول الله ﷺ حتى ما بعد عصر الإمام الطبري وابن كثير. بدأ المنهج الأثري في التفسير على طور الرواية والمشافهة وهو يقوم على الرواية والنقل، وكان بالمشافهة والسماع، ولم يدون في الكتب. وقد تلقى الصحابة التفسير عن رسول الله ﷺ، لأنه بين لهم ما كانوا يحتاجون إليه من معاني القرآن. ثم انتقل المنهج الأثري إلى الكتابة والتدوين في عصر التابعين وتابعيهم، في القرن الثاني الهجري. وكانوا يدونون ويكتبون الأقوال المأثورة في التفسير. وقد اعتنى المفسرون بالمأثور بجمع الروايات المأثورة في التفسير، من الأحاديث وأقوال الصحابة، وأقوال التابعين وتابعي التابعين. وظهرت في هذه المرحلة تفاسير كاملة للقرآن على ترتيب المصحف، تذكر فيها الأقوال المأثورة في كل آية، وبذلك وجدت التفاسير الكاملة للقرآن، وكانت أسانيد الروايات مثبتة في تلك التفاسير.<sup>٣</sup>

إن تفسير الطبري وهو أول وأفضل التفاسير وأوسعها وأطولها باعاً في العلوم المتعلقة بالقرآن لاهتمامه بما يتعلق بالقراءات القرآنية وبوجوه اللغة، إضافة إلى أنه يروي الروايات في التفسير بأسانيد عن السلف رحمهم الله، وقد ذكر السيوطي فيه أنه أجل التفاسير وأعظمها، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض والإعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك تفاسير الأقدمين، وقال النووي: أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري. وقال شيخ الإسلام في الفتاوى: وأما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير ابن جرير الطبري فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين.

أما تفسير ابن كثير رحمه الله فقد كان يأتي بأهم ما جاء به الطبري مما يتعلق بتفسير الآيات، ويعتني بالتفسير المأثور وبالأحكام وبتفسير القرآن للقرآن، كما كان يأتي بأغلب ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن غيره من السلف في التفسير بالمأثور ويذكر أسانيد أغلبها.

<sup>٣</sup> صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمنهج المفسرين، (دمشق: دار القلم.الخالدي، ط 2، ٢٠٠٤ م)، ص : ٢٢٤ -

## مفهوم المنهج الأثري في التفسير.

هناك ثلاثة مصطلحات أساسية في هذا البحث: المنهج، التفسير، والأثر. لا بد أن نعرف معنى المنهج والتفسير لغة واصطلاحاً. أولاً، المنهج في اللغة: "هو الطريق الموصل إلى غاية من الغايات، سواء أكان هذا الطريق مكاناً أم وسيلة لتحقيق فكرة معيّنة أو هدف معيّن، وسواء أكانت هذه الغاية مفيدة أم ضارة صواباً أم خطأ"<sup>٤</sup>. وقد وردت كلمة "المنهج" في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿لِكَلِّمَ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]. أمّا المنهج في الاصطلاح فهو أداة التربية ووسيلتها، وهو ذلك الطريق الواضح الذي يسلكه المربي أو المدرس مع مَنْ يريهم لتنمية معارفهم، ومهاراتهم، واتجاهاتهم، أو هو مجموع الخبرات التربويّة، والثقافيّة، والاجتماعيّة، والرياضيّة، والفنيّة، التي يهيئها المدرس لتلاميذه داخل المدرسة وخارجها بقصد مساعدتهم على النّمو الشامل في جميع النواحي وتعديل سلوكهم طبقاً لأهدافها التربويّة.<sup>٥</sup>

والتفسير في اللغة مأخوذ من القسّر، بمعنى: الإبانة، والكشف، وإظهار المعنى، يقال: فسر الشيء يفسر. بالكسر والضم. فسرّاً إذا أبانه وكشف غطاءه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]. وقيل: هو مقلوب من سفر، ومعناه أيضاً الكشف، يقال: أسفرت المرأة سفوراً: إذا ألقّت خمارها عن وجهها. وفي عُرف الشّرع: هو "علم يُعرف به كتاب الله المنزّل على نبيّه محمد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكّمه". ولذلك مفهوم "مناهج المفسّرين" هو: "الطرق التي يتبعها المفسّرون في تفسير كتاب الله تعالى". ذلك أنّ منهم الذي يعتمد على الرواية، ومنهم مَنْ يعتمد على الدّراية، ومنهم مَنْ يجمع بين الرواية والدّراية، ومنهم مَنْ يعتمد على الفهم الشّخصي والمجال الذي تخصّص فيه.

<sup>٤</sup>. مناهج الدّراسات الإسلاميّة: د. عابدين توفيق، ٣١/١، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلاميّة، العدد (١٤). ١٤٢٨هـ -

٢٠٠٧م.

<sup>٥</sup>. فلسفة التّربية: د. الدمرداش ود. منير، ٣٠١/١، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلاميّة، العدد (١٤).

الأثر في اللغة ورد في معجم الوسيط: "أثر، يَأْثُر، أَثْرًا: تبع أثره. وأثر الحديث: نقله ورواه عن غيره. والأثر: الخبر المروي والسنة الباقية. والمأثور: الحديث المروي، وما ورث الخلف عن السلف."<sup>٦</sup> فالمأثور: يقوم على الرواية والنقل. ويطلق على ما ورثه الخلف عن السلف من علم وحديث وروايات وغير ذلك، وغالب إطلاقه على الحديث والروايات.<sup>٧</sup> فالتفسير الأثري هو في ما يعرف بالتفسير بالمأثور. فقد قال عنه الدكتور محمد حسين الذهبي رحمه الله: "يشمل التفسير المأثور ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نُقِلَ عن الرسول ﷺ، وما نُقِلَ عن الصحابة رضوان الله عليهم، وما نُقِلَ عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم." ونقصد بالمنهج الأثري في التفسير هو ما يستفيده المفسر من السنة النبوية ومن روايات الصحابة والتابعين المرفوعة لتوضيح معاني آيات القرآن ومقاصده. مع الأخذ بعين الاعتبار وجود نقاش في تفسير التابعين، من حيث اندراجها في الأثر أو في التفسير بالرأي.<sup>٨</sup> رغم أنه يمكن الاستفادة من روايات الصحابة والتابعين في تفسير القرآن في موارد خاصة، وأن الكثير من أقوالهم في التفسير يعتبر مفيداً ونافعاً، لكن هناك اختلافاً بين علماء المسلمين في حجية سنتهم، ومساحة اعتبار رواياتهم.<sup>٩</sup>

### ترجمة الطبري:

هو الإمام أبو جعفر، محمد بن جرير ابن يزيد ابن كثير ابن غالب الطبري، الإمام الجليل، المجتهد المطلق، ولد بأمل بطبرستان سنة (٢٢٤هـ) أربع وعشرين ومائتين للهجرة،<sup>١٠</sup> ورحل من بلده لطلب العلم، وهو ابن اثني عشرة سنة، عام ست ثلاثين ومائتين للهجرة، كانت جهته الأولى في الري، ثم بغداد، ثم واسط، فالكوفة، ثم عاد إلى بغداد، ثم قصد

<sup>٦</sup>. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، (مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤م). ص: ٥-٦.

<sup>٧</sup>. أنظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمنهج المفسرين، ص: ١٩٩.

<sup>٨</sup>. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، (مكتبة وهبة: القاهرة، مصر، ط٢، ١٩٧٦م، ج١)، ص: ١٥٢-١٥٣.

<sup>٩</sup>. محمد علي الرضائي الأصفهاني، مناهج التفسير واتجاهاته دراسة مقارنة في تفسير القرآن، (بيروت: شبكة الفكر، ط٣، ٢٠٠٠م)، ص: ٩٥.

<sup>١٠</sup>. أنظر: محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج١، ص: ٢٠٥.

الشام، بعدها رحل إلى مصر سنة ثلاثة وخمسين ومائتين ٢٥٣هـ. ثم رجع إلى الشام، وبعدها إلى مصر سنة ست وخمسين ومائتين ٢٥٦هـ. ثم انتقل إلى بغداد، وبقي فيها إلى أن توفي سنة ٣١٠هـ عشر ثلاثة مائة للهجرة. وأثناء طوافه في هذه الأقاليم سمع الحديث، ودرس القرآن، والتاريخ، ثم تلقى فقه الشافعية. قال السيوطي: كان أولاً شافعيًا، فم انفرد بمذهب مستقل، وأقاويل واختيارات له أتباع مقلدون، ولو في الأصول الفروع كتب كثيرة.<sup>١١</sup> ولم يستطع هذا المذهب الذي يقال لأتباعه الجريرية، البقاء إلى يومنا هذا.<sup>١٢</sup>

### كيف قسم الطبري كتابه:

بدأ الطبري كتابه بمقدمة طويلة، بها عدة فصول، فالفصل الأول يناقش فيه، عرية القرآن، وما يتميز به أسلوب القرآن من خصائص، ثم ينتقل إلى إثبات: أن القرآن عربي اللفظة المفردة في فصل ثاني، ثم فصلاً آخر، بعنوان "القول في اللغة التي نزل بها القرآن من لغات العرب"، ثم ينتهي إلى بيان خطته في التفسير، في فصل سمي "القول في الوجوه التي من قبلها يوصل إلى معرفة تأويل القرآن"، ثم ينكر الطبري، التيارات الفكرية التي سادت عصره، وعصر من قبله، التي تناولت تفسير النص القرآني وفق الهوى، ويذكر فصلاً، "فيه ما أثر من روايات، تنهى عن التفسير بالرأي، ثم ذكر فصلاً بعنوان "ذكر بعض الأخبار التي رويت في الحزب على العلم بتفسير القرآن من كان يفسره من الصحابة"، وهذا في مواجهة النزعة المخرجة في التفسير، ثم يورد الطبري فصلاً بعنوان "ذكر بعض الأخبار التي خلطت في تأويله منكر القول في تأويل القرآن". وعنوان فصلاً آخر "ذكر أن الأخبار عن السلف في من كان من قدماء المفسرين محموداً علمه بالتفسير ومن كان منهم مذموماً علمه بذلك".<sup>١٣</sup>

قال السيوطي: "كتاب الطبري في التفسير أول التفاسير، وأعظمها. فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، وللإعراب، والإستنباط، فهو يفوق بذلك تفاسير الأقدمين، وأعدده رأس المفسرين على الإطلاق،

<sup>١١</sup>. جلال الدين السيوطي، طبقات المفسرين للسيوطي، (الكويت: دار النوادر، د.ط، ٢٠١٠م)، ص: ٣.

<sup>١٢</sup>. أنظر: محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج ١، ص: ٢٠٦.

<sup>١٣</sup>. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (مؤسسة الرسالة، ط ١،

٢٠٠٠م)، ج ١ (مقدمة)، ص: ٨.

جمع في تفسيره بين الرواية والدراية، فلم يشركه في ذلك أحد قبله، ولا بعده.<sup>١٤</sup> وقال أبو حامد الأسفراييني: "لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيراً". وقال النووي: "أجمعت الأمة على أنه لم يضاف مثل تفسير الطبري".<sup>١٥</sup>

#### ترجمة ابن كثير:

هو إسماعيل ابن عمر ابن كثير، بن ضو بن درع الفرشي، البصري، الدمشقي، عماد الدين أبو الفداء، مؤرخ، مفسر، مجدد، من فقهاء الشافعي، ولد سنة ٧٠١ هـ وقدم مع أخيه إلى دمشق، سنة ٧٠٦ هـ، بعد موت أبيه، وبها نشأ وتعلم.<sup>١٦</sup> كان قد كف بصره في آخر عمره. وتوفي في شعبان سنة ٧٢٤ هـ، ودفن في مقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية.<sup>١٧</sup>

**كيف قسم ابن كثير كتابه:**

لقد أفرد ابن كثير كتابه بمقدمة هامة، وقصيرة بالنسبة إلى مقدمة ابن جرير فبعد أن حمد الله وأثنى عليه، تكلم عن وجوب التفسير وضرورته، ثم ذكر أحسن طرق التفسير عنده، وبعده قسم الإسرائيليات إلى ثلاثة أنواع، مبيناً النوع الذي يستطيع المفسر اعتماده في تفسيره، وبين بعدها ما أنزل من السور، في المدينة، ثم عدد لآيات، ومعنى كلمة "سورة"، واستشهد على ذلك بالشعر، وكذا فعل في كلمة "آية"، ولماذا سميت بهذا الاسم، وأخيراً ذكر فصلاً فيه آراء العلماء في عربية القرآن كالقرطبي وابن جرير.

#### منهج الطبري في تفسيره:

إن الناظر في تفسير الطبري بصفة دقيقة، أول ما يلاحظ أنه إذا أراد أن يفسر آية من القرآن يقول "القول في تأويل قوله تعالى كذا كذا"، ثم يشرع في شرحها، متبعاً في ذلك الخطوات التالية:

<sup>١٤</sup> . جلال الدين السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م)، ج ٢، ص: ١٩٠.

<sup>١٥</sup> . د. عبد الجواد خلف، مدخل إلى تفسير وعلوم القرآن، (القاهرة: دار البيان، دط، ٢٠٠٣م) ص: ١١٧.

<sup>١٦</sup> . عادل نويهض، معجم المفسرين، (بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط ٣، ١٩٨٨م)، ص: ٩٢.

<sup>١٧</sup> . أنظر: محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج ١، ص: ٢٤٢.

١- التفسير بالمأثور: نجده يدعم من يذهب إليه من معنى الآية، ثم يرويها بسنده عن الرسول ﷺ أو الصحابة أو التابعين من التفسير بالمأثور عنهم في هذه الآية.

وهو يعتني في كل ذلك بما يلي:

أ. الإسناد الدقيق في سلاسل الرواة، فيسجل كل الروايات بسندها، التي قد تختلف تفصيلاً وإيجازاً. فهو يتحدى الدقة والمتانة في ذكر السند (أسماء الرواة)؛ لأنه اتصل بكثير من العلماء وسمع منهم، ولكن إذا سمع هو وغيره قال: حدثنا، وإذا سمع وحده قال: حدثني، وإذا نسي واحد من سلسلة الرواية صرح بنسيانته، غير أنه قد يسوق أخباراً بأسانيد غير صحيحة، ثم لا يبينه على عدم صحتها، فهو غالباً لا يتعقب الأسانيد بتصحيح أو تضعيف، لأنه يرى أن من أسند فقد حملك البحث عن رجل السند، ومعرفة مبلغهم من العدالة والجرح، فخرج بذلك عن العهدة، ومع ذلك فإنه وقف من السند أحياناً موقف الناقد البصير.<sup>١٨</sup>

وذلك عند اختلاف المأثور: يقسم الأراء، ويضع تحت كل رأي مروياته، ثم يعقب عليها بالنقد.

ب. النقد: هذا المقياس الذي يوجهه إلى متن الرواية، وكذا سندها، فيبدأ نقده بالتوقف عند الروايات التي أثرت عن الرسول ﷺ، أي الأحاديث النبوية، ناظراً إليها بنظرة المحدثين، ومستخدماً في ذلك مقاييس الجرح والتعديل في روايتها، ثم مقدماً منها ما صحت نسبتها إلى الرسول ﷺ. وأما الروايات النقلية لغير الرسول، فيعرض للأراء المختلفة في التفسير، مع ذكر أصحاب تلك الروايات ثم يناقشها، خاتماً ذلك كله بما يراه أولى بالترجيح، وذكر مبررات ترجيحية لرأي منها، وقد يردّها كلها، وينص على رأيه الخاص.

٢- التفسير اللغوي: يعتمد الطبري على اللغة؛ نظراً لثقافته اللغوية الواسعة، فيبين المعنى الأصلي للفظ، والمعنى المنقول إليه، والعلاقة بين المعنيين، ويفضل معنى لكلمة على معنى آخر تحتمله، مستعيناً في ذلك كله: (١) بما هو معروف من كلام العرب (من شعر ونثر) فسيتشهد بالشعر بشكل واسع، وأقوال العرب في الجاهلية، وفي الإسلام، نورد مثلاً لذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ [البقرة: ٢٢].

<sup>١٨</sup>. مصطفى الصاوي الجويني، مناهج في التفسير، ( منشأة المعارف السلسلة الدراسات القرآنية، ط ١، ١٩٩٠م)، ص: ٣٦٦.



يقول: "قال أبو جعفر: والأنداد جمع ند، والند: العدل المثل كم قل حسان بن ثابت:

تهجوه ولست له بند  
فشركما نحير كما الفداء

ويعني بقوله: ولست له بمثل، ولا عدل، وكل شيء كن نظيراً للشيء وشبيها فهو له ند.<sup>١٩</sup>

وهو تارة يذكر اسم الشاعر، وأخرى يغفله، مكثف بالشعر، وهو بهذه الطريقة يكون متبعاً لما يؤثر عن ابن

عباس، والفراء، وأبو عبيدة والزجاج، في استخدامهم التفسير اللغوي.

وما يتسم به أنه: يأخذ بظاهر دلالات اللفظة اللغوية، فيؤثر التفسير بالظاهر على التأويل بالباطن، ويحتكم

إلى الغالب المعروف في استعمال العرب للفظه، ما دام ليس هناك حجة تصرف المعنى القريب والشهير، إلى المعنى البعيد،

والحجة هي الكتاب أو الخبر عن الرسول ﷺ أو إجماع أهل التأويل.<sup>٢٠</sup>

كما اهتم الطبري بالمذاهب النحوية: فهو يعرضها أولاً كمذهب البصريين مثلاً ومذهب الكوفيين إذا دعت

الحاجة إليه، ثم يختار منها ما يتفق مع الطريقة المألوفة للعرب في التعبير.<sup>٢١</sup>

**ملاحظة:** وإذا كان للطبري تفسيران صحيحان، أحدهما لأهل التفسير، والأخر لأهل اللغة، فيترجح لديه رأي

أهل التفسير؛ لأنه ما دامت هناك رواية نقلية في التفسير، فلا مجال للتفسير اللغوي حينئذ؟

**٣- اجتنابه التفسير بالرأي:** والتزم الطبري هذا الأسلوب في كتابه، فكان يرفض من آراء المفسرين ما يعتمد

فيه المفسر على رأيه، ويخاصم بشدة تلك الآراء التي لا تستند على العلم الراجع إلى الصحابة والتابعين، بل يعتمد على

مجرد الرأي أو محض اللغة،<sup>٢٢</sup> لذلك نجد في طيت كتابه، يناقش أبو عبيدة، ويرد على ما يروى عن مجاهد، أو الضحاك

أو غيرهما ممن يروون عن ابن عباس، ولأن الطبري ينكر على من يفسر بمجرد الرأي؛ فقد عقد فصل في مقدمة كتابه،

<sup>١٩</sup> محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (مؤسسة الرسالة، ط ١،

٢٠٠٠م)، ج ١، ص: ١٢٥.

<sup>٢٠</sup> أنظر: مصطفى الصاوي الجويني، مناهج في التفسير، ص: ٣٦٦.

<sup>٢١</sup> أنظر: محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج ١، ص: ٢١٨.

<sup>٢٢</sup> أنظر تفسير الطبري في سورة يوسف الآية: ٤٩.

ذكر فيه أخبارًا عن الرسول ﷺ، انتهى عن القول في التفسير بالرأي، ومن هنا رد على تلك الفرق التي كانت تلون المعنى القرآني وفقا للهوى والمعتقدات الباطلة، كالمعتزلة التي لجأت إلى التأويل العقلي عن طريق أهل السنة والسلف.<sup>٢٣</sup>

٤- **يكثر من الإسرائيليات:** أما في تفسير القصص فإنه يورد روايات يرويها بسنده إلى كعب الأحبار ووهب بن منبه، وابن جريح والسدي وغيرهم كثيرا ما ينقل من محمد بن إسماعيل ممن رواه عن مسلمة النصارى؛ مثلا في تفسير للآية ٩٤ من سورة الكهف: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٤]، فذكر الروية بسندها قال: حدثنا سلمة قال: حدثنا محمد بن إسحاق قال: حدثنا بعض من يسوق أحاديث الأعاجم من أهل الكتاب ممن قد أسلم مما توارثوا من علم ذي القرنين أن ذا القرنين كان رجلا من أهل مصدر اسمة مزريا ابن مرد به اليوناني من لوديون بن يافث بن نوح ..... الخ.<sup>٢٤</sup> فالطبري حين يذكر هذه الروايات، غالبا ما يذكرها بسنده في النقل، وقد يعقب على بعض الروايات، ولكنه يتساهل في بعضها، هذا ما لاحظنا، فلعل ذلك راجع إلى أنه يرى في ذكر السند مع كل رواية، ما يبرئ ذمته، ويلقي بالتبعة على منقول عنه، فيكون بذلك خارج عن العهدة، وعلى من بعده أن ينظر في السند ويتفقد الروايات، لذلك فتفسيره لا يزال محتاجًا إلى النقد الفاحص الشامل.<sup>٢٥</sup> ونحن نلاحظ أن ابن كثير بما أنه ينقل عن ابن جرير فقد قام بدور هام في التنبيه على بعض الإسرائيليات التي جاءت في تفسير الطبري، خاصة وأن ابن كثير من علماء الحديث، كما علق على بعض الروايات التي أوردها الطبري، فضعفها أو شك فيها.

٥- **اهتمامه بالإجماع:** يجعل الطبري من إجماع الأمة دليلا على صحة ما يذهب إليه من تفسير، إذا لم يتعين المراد من النص.<sup>٢٦</sup> وذكر الضاوي الجويني في كتبه مناهج في التفسير "أن أساس الإجماع لدى الطبري، هو من ينقله من

<sup>٢٣</sup>. أنظر: محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج ١، ص: ٢١٠.

<sup>٢٤</sup>. أنظر: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ١٦، ص: ١٤.

<sup>٢٥</sup>. أنظر: محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج ١، ص: ٢١٥.

<sup>٢٦</sup>. أنظر تفسير الطبري في سورة البقرة الآية ٢٣٠.

روايات الرسول ﷺ والصحابة والتابعين في التفسير، وكذا ما أجمع عليه أهل التفسير في تفسيرهم للآية، فيضم الطبري كل ما قيل في الآية من هذه التفاسير ويسميه إجماعاً ولا يبيح للرأي اللغوي الدخول فيها.<sup>٢٧</sup>

**٦- اعتناؤه بذكر القراءات:** لصلته الوثيقة بالمعنى، فيعرض وجوه القراءات، وينزلها على المعاني المختلفة، ثم يختار ويرجح منها ما ارتضاه، لأنه كان عالماً بالقراءات ومؤلفاً فيها، ذاكرة مبرر ترحيحه، وهو أنه لا يعتمد منها إلا بما عليه قراء الأمصار المعول عليهم في الاحتجاج.<sup>٢٨</sup>

**٧- معالجته للقضايا الفقهية:** نجد في تفسيره أثراً واضحاً، للقضايا الفقهية، ذلك أن الطبري، كما علمنا سابقاً به كتاب "اختلاف الفقهاء"، فهو فقيه دارس للمذاهب كلها، بل مجتهد صاحب مذهب اختاره لنفسه، فمن البداهة أن يعرض للآراء الفقهية، ويناقشها في مناسباتها من آيات الأحكام. فيعالج أقوال العلماء ومذاهبهم، وينتهي من مناقشة كل منها إلى ما يستصوبه من رأي يختاره لنفسه، يرجحه بالأدلة العلمية القيمة.<sup>٢٩</sup>

**٨- خوضه في مسائل الكلام:** نلاحظ في تفسير ابن جرير، أنه تعرض لمسائل الكلام، عند كثير من الآيات القرآنية، فتعرض لأراء المتكلمين، وكان يسميهم أهل الجدل، كما رد على آراء كثير من المذاهب المنحرفة، التي خالفت تعاليم أهل السنة، كالخوارج والقدرية والمعتزلة، ولكن الطبري لا يوغل في النقاش الكلامي فيما يتصل بتفسير آيات أفعال الله وصفاته، فهو يشارك في ذلك الجدل الكلامي لكن بحرص شديد حفاظاً على مذهبه السلفي.<sup>٣٠</sup>

بعد أن أنهينا منهج ابن جرير في التفسير، فما نلمحه ونلاحظه، من تفسيره، هو الإدلاء برأيه، بعد عرض الآراء ومناقشتها، فابن جرير حين يرفض رأياً أو تفسيراً معيناً يردف ذلك الرفض بالتعليل المنطقي، وحين يرجح ويختار من التفاسير، يأتيك بالدليل على ترحيحه، ويأتيك بالبرهان والحجة القاطعة على ما انتهى إليه، لذا أنتج لنا تفسيراً فريداً من نوعه، امتزج فيه النظر بالأثر والدراية بالرواية، فكان مرجعاً مهماً عند العلماء، من مراجع التفسير بالرواية، بما

<sup>٢٧</sup>. أنظر: مصطفى الصاوي الجويني، *مناهج في التفسير*، ص: ٣٩٧.

<sup>٢٨</sup>. أنظر: محمد حسين الذهبي، *التفسير والمفسرون*، ج ١، ص: ٢١٤.

<sup>٢٩</sup>. أنظر: محمد حسين الذهبي، *التفسير والمفسرون*، ج ١، ص: ٢١٩.

<sup>٣٠</sup>. أنظر: محمد حسين الذهبي، *التفسير والمفسرون*، ج ١، ص: ٢٢٢، أنظر: مصطفى الصاوي الجويني، *مناهج في التفسير*، ص: ٣٧١-٣٨٢.

جمع فيه من الروايات الأثرية المتكاثرة، وبالدراية، بما فيه من ترجيحات مختلفة، تقوم على نظرات أدبية ولغوية وعلمية، فجعله ذلك، مرجعا لا يستغنى عنه أحد على مر العصور.

### منهج ابن كثير في تفسيره:

يلاحظ القارئ بعجالة، لتفسير ابن كثير، أنه اعتمد على الأسلوب السهل، الموجز، ويفتح قوله الخاص بـ "قلت"، وينهى كلامه بـ "والله أعلم"، إذا جاء بحديث آخر في نفس الموضوع يشير إلى ذلك. أما المتأمل في تفسيره يستنتج الآتي:

١- يفسر القرآن بالقرآن: حيث يسرد عدة آيات من نفس معنى الآية التي هو بصدد شرحها، هذا ملاحظ في معظم تفسيره.

٢- يذكر عدة أحاديث مفسرة للآية، بأسانيدھا، ويقوم بتخريجھا، ويعدل ويرجح رواھا خاصة وأنه يعد من المحدثين.

٣- يذكر أقوال الصحابة، والتابعين، والسلف، ويبين الصحيح منها، أو الأصح والمردود منها.

٤- يستعين بعلم اللغة، والقراءات لبيان المراد من الآية، ويعطي المعنى الاصطلاحي للفظ إذا وجد.<sup>٣١</sup>

٥- يتعرض لآراء الفقهاء في آيات الأحكام، ويأتي بدليل كل منهم، وأحيانا يرجح دون إعطاء رأيه الخاص.<sup>٣٢</sup>

٦- يبين مناسبة الآية مع التي قبلها، ويذكر سبب النزول.

٧- وكثيرا ما نجد ابن كثير ينقل من تفسير ابن جرير، وابن أبي حاتم وغيرهم ممن تقدمه.<sup>٣٣</sup>

٨- ومما يمتاز به ابن كثير أنه ينبه إلى ما في التفسير بالمأثور، من منكرات الإسرائيليات، ويحذر منها على وجه

الإجمال تارة، وعلى وجه التعيين، وبيان منكراتها تارة أخرى، مثل تفسيره قوله تعالى في الآية ٦٧، وما بعدها من سورة البقرة.

<sup>٣١</sup>. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٩م)، ج١، ص: ٤٦.

<sup>٣٢</sup>. أنظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص: ٣٦٩.

<sup>٣٣</sup>. أنظر: محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج١، ص: ٢٤٥.

٩- يذكر آراء الفرق الإسلامية غير رأي أهل السنة، ويرد عليها.

### مقارنة بين منهج الطبري وابن كثير:

نستخلص من هذا البحث، أن كلا من تفسير ابن جرير الطبري وتفسير ابن كثير اسماعيل ابن عمر، يصنف ضمن التفسير بالرأي والمأثور، منهجها المتبع في تفسيرهما، متقارب جدا، وهو المنهج التحليلي، إلا أن ابن كثير قد أوجز واختصر، والطبري قد أسهب وأطنب، وذلك ملاحظ في المساحة التي أخذها كل من الكتابين، فتفسير الطبري، يقع في ثلاثين جزء من الحجم الكبير، بينما تفسير ابن كثير، قد أخذ حيزا أضيق، فهو يقع في أربعة أجزاء من الحجم الكبير، وفي طبعة أخرى سبعة أجزاء، من النوع المتوسط، ويقول عنه العلماء، أنه يعتبر الكتاب الثاني - بعد كتاب ابن جرير- الذي اعتنى فيه صاحبه، بالرواية من مفسري السلف، ففسر فيه كلام الله تعالى بأحاديث، وأثار مسندة إلى أصحابها، كما جرح عدل، ونجد أن ابن كثير ينقل عن ابن جرير، ذلك أن هذا الأخير، كان ممن سبقه عصرا.

هذا ما جعل المقارنة بين منهجيهما صعبة إلى حد ما، فالفروق بينهما لا تكاد تعد، لعل ما يختلف فيه ابن كثير عن ابن جرير، هو اعتبار الأول أكثر سرد للآيات المتناسبة في المعنى الواحد، فهو شديد العناية بتفسير القرآن بالقرآن، بينما الطبري لم يسلك هذا المسلك إلا في بعض الأحيان، حين يربط السياق، ويعود بمراجع الكلام، إلى معاقدها الواردة في مواضع أخرى من القرآن الكريم، كم أن ابن كثير يختصر أحيانا في الأسانيد الطويلة، فلا ينقلها كاملة، بل يقتصر على راو واحد أو اثنين، واستنتجنا أن ذلك يرجع إلى صحة الحديث، أو شهرته، وخاصة إذا كان من الكتب الصحاح في الحديث، كصحيح البخاري وصحيح مسلم، ينقل منها قائلا: "في الصحيحين"، ثم يذكر الحديث، أو يقول: "في الحديث الصحيح"، إذا نقل الحديث بسنده، فإنه ينظر فيه فيجرح، ويعدل الرواة ويرجح بعض الأقوال، ويضعف بعضها ويصحح البعض الآخر وهذا راجع فيما استخلصه إلى ما كان عليه من المعرفة بمتون الحديث، وأحوال الرجال، بينما نجد الطبري، في الأغلب الأعم، لم يتعقب الأسانيد بتصحيح ولا تضعيف، لأنه كان يرى كما هو مقرر في أصول الحديث - وهذا ما علله له الباحثون- "أن من أسند لك، فقد حملك البحث عن الرجال والسند، ومعرفة مبلغهم من العدالة والجرح، فهو بعمله هذا فقد خرج من العهدة، ومع ذلك فإنه يقف من السند أحيانا، موقف

الناقد البصير، فيعدل ويجرح، ويرد الرواية التي لا يثق في صحتها، يصرح برأيه بما يناسبها".<sup>٣٤</sup> فنحن نرى أن الطبري قام بجهد عظيم، لأنه نقل لنا ذلك التراث الضخم من التفسير، ومروياته ذاكراً للأسانيد، فعلى من بعده أن يقوم بالفحص والتمحيص، بناء على القواعد التي وضعها النقاد للتصحيح والتضعيف، ويتعرض الطبري لإعراب الكلمات، يذكر مذاهب النحويين المختلفة، بينما ابن كثير قليلاً ما يتعرض لها.

كما نجد أن ابن كثير في آيات الأحكام، يذكر آراء الأئمة الاربعة ويرجح منها رأياً، أما الطبري فيذكر آراء فقهاء الصحابة والتابعين دون التعرض للمذاهب الأربعة بعينها، وفي الغالب يختار رأياً جديداً لنفسه مع الدليل ويعلل الرأي الذي اختار، بالإجماع الذي يعتبر ميزة خاصة للطبري، بينما ابن كثير ليست له هذه الميزة. ويتعرض الطبري بكثرة للقراءات في لفظة معينة، بينما لا يذكرها ابن كثير إلا نادراً.

#### تطبيقات من كلا التفسيرين:

الآية الأولى: تفسير الآية الثامنة والعشرين من آية آل عمران: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾. [آل عمران: 28].

#### طريقة تفسير الطبري لهذه الآية:<sup>٣٥</sup>

فسر قول الله تعالى: "لا يتخذ المؤمنون... تقاة"، الآية بادئاً بـ "القول في قوله الآية" فقال: "وهذا نهي من الله عز وجل المؤمنين أن يتخذوا الكفار أعواناً وأنصاراً، وظهوراً. ثم تعرض لناحية الإعراب فقال: "لذلك كسر يتخذ في موضع جزم

<sup>٣٤</sup>. أنظر: محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج ١، ص: ٢١٢.

<sup>٣٥</sup>. انظر: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ١، ص: ١٥٢،

بالنهي، ولكنه كسر الذال منه للساكن الذي لقيه، وهي ساكنة". ثم أكمل التفسير بقوله: "معنى ذلك لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهرا، وأنصارا، توالوا منهم على دينهم، وتظاهروا منهم على المسلمين من دون المؤمنين وتدلونهم على عوراتهم، فإنه من يفعل ذلك فليس من الله في شيء يعني بذلك فقد برئ من الله وبرئ الله منه، بارتداده عن دينه، دخوله في الكفار". ثم فسر قوله تعالى: "إلا أن تتقوا منهم تقاة"، إلا أن تكون في سلطانهم، فتخافوا على أنفسكم فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم، وتضمروا لهم العداوة، ولا تشايعونهم على ما هم عليه من الكفر، تعينونهم على مسلم بفعل"، ثم ذكر سبب النزول، عن ابن عباس وقوى ما جاء عن مجاهد بطريق آخر حيث قال: حدثني محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم بن عيسى بن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨]. إلا مصانعة في الدنيا مخالقة. حدثني المثنى قال: حدثنا أبو حذيفة قال: حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وبعد أو أورد معنى المولاة أتبعها بتفسير "تقاة"، والتقية بذكر آثار رويت عن الصحابة والتابعين كعكرمة وأبو العالية والضحاك، وابن عباس، وبعدها ذكر معنى آخر للآية: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران: ٢٨] عن قتادة، ثم رد هذا الوجه، رغم أن الآية تحتمله كما قال، معللاً ذلك أن ذلك الوجه انصرف عن ما يدل عليه الأغلب الظاهر من معروف كلام العرب المستعمل فيهم وبعدها ذكر اختلاف القراء في قراءة ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾، لأنها مما أجمع عليه قراء الأنصار، المعتمدون لديه، ذلك للنقل المستفيض فيها وأخيرا فسر قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

#### استنتاجات:

- ١- ابتدأ تفسيره بـ "القول في تأويل قوله".
- ٢- تعرض لناحية الإعراب في كلمة "يتخذ".
- ٣- ذكر الروايات بسندها، ومنتها، ذكر طريقا آخر يقوى رواية مجاهد.
- ٤- بدأ الحديث بحدثنا، أو حدثني، مما يشير لتحرية الدقة في السند.
- ٥- ذكر معنى آخر لتفسير "إلا أن تتقوا منهم تقاة" ورده، ذاكرا العلة في ذلك مما يؤيد ما ذكرت سابقا بأنه يرجح الأقوال، يرد بعضها بالدليل.

٦- ذكر القراءات المختلفة في لفظة "تقاة"، ورجح الأصح منها، بدليل ويتجلى هذا في كل أجزاء تفسيره.

طريقة تفسير ابن كثير للآية الثامنة والعشرين من آل عمران:

بدأ بتفسير الآية جزء جزء، ففسر قوله تعالى ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨]، ثم فسر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ فقال: "أي من يرتكب نهي الله في هذا فقد برئ من الله"، ذكر جملة من الآيات، تفسر هذه الآية، وتؤيد ما ذهب إليه منها: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣]. ثم فسر قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران: ٢٨]، "أي إلا من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم فله أن يتقيهم، بظاهره لا بباطنه ونيته"، وأيد ما ذهب إليه في تفسيره، بحديث البخاري، عن أبي الدرداء، وكذا الثوري عن ابن عباس، وقواه بطريق آخر عن العوفي، دون ذكر السند كاملاً. ثم ذكر أسماء من ذهبوا إلى رأي ابن عباس، وهم أبو العالية، وأبو الشعثاء، والضحاك، والربيع ابن أنس، بدون ذكر السند، ولا المتن كذلك، ثم يؤيد ما ذهب إليه هؤلاء بأية قرآنية، وهي: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]. وبعد فسر قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، فقال: "أي يحذركم نعمته في مخالفته وسطوته، وعذابه، لمن والى عداه وعادى أولياءه. ثم قوله تعالى: ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، أي "إليه المرجع والمنقلب، وليجازي كل عامل بعمله"، وأيد تفسير لها بحديث عن ابن أبي حاتم.<sup>٣٦</sup>

استنتاجات:

- ١- أيد ما ذهب إليه في التفسير بآيات قرآنية هذا من: من تفسير القرآن بالقرآن.
- ٢- أيد ما ذهب إليه بأحاديث مأثورة عن الصحابة والتابعين، ومؤيدا في نفس الوقت من ذهبوا إليه في التفسير بآية قرآنية.

<sup>٣٦</sup>. أنظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص: ٢٠٩.



٣- ذكر الأخبار دون سند، ويعلل ذلك باحتمالين: إما لاشهار هذه الأحاديث بأنها صحيحة عند العلماء، أو عند طلاب العلم، وإما أنه ذكر الأحاديث بأسانيدھا في موضع آخر فلم يرد التكرار، ذلك أنه قد تواتر علم ابن كثير بالحديث وأسسہ حتى لقب الحافظ ابن كثير.

٤- نقل عن مفسر سبقه هو ابن أبي حاتم.

٥- وجاء بطريق يقوي رواية الثوري عن ابن عباس.

الآية الثانية: من تفسير لقوله تعالى: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) "سورة البقرة: ٢٣٨".

ذكر الطبري اختلاف الصحابة والتابعين في تعيين الصلاة الوسطى:

١- فقال بعضهم: هي صلاة العصر، وهذا قول علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وأبي هريرة وعبد الله بن عمر وأبي سعيد الخدري وعائشة وأم سلمة والحسن البصري وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبیر وزر بن حبيش وقتادة والضحاك ومجاهد.

وذكر ثلاثة وأربعين أثراً كلها مسندة، مع ذكره لحجة هذا القول وهو حديث مرفوع عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: شغل المشركون رسول الله ﷺ عن صلاة العصر حتى اصفرت الشمس أو احمرت، فقال ﷺ: شغلونا عن الصلاة الوسطى ملاً الله أجوافهم وقبورهم ناراً.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى آبت الشمس، ملاً الله قبورهم وبيوتهم ناراً.

وأورد ستة وعشرين طريقاً ورواية لهذه الأحاديث المرفوعة التي يصرح فيها النبي ﷺ بأن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر.

٢- وقال آخرون: الصلاة الوسطى صلاة الظهر، وهذا قول زيد بن ثابت وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن عمر، وأورد ثلاث عشرة رواية وطريقاً لهذا القول.

٣- وقال آخرون: الصلاة الوسطى هي صلاة المغرب، وهو قول قبيصة بن ذؤيب.

٤- وقال آخرون: الصلاة الوسطى صلاة الفجر، وهذا قول منسوب لابن عباس وأبي موسى الأشعري وأبي العالية وعطاء بن أبي رباح وعكرمة ومجاهد وعبد الله بن شداد والربيع بن أنس، وأورد سبع عشرة رواية مسندة لهذا القول.

٥- وقال آخرون: الصلاة الوسطى إحدى الصلوات الخمس، لا نعرفها بعينها، وهذا قول منسوب لعبد الله بن عمر ونافع مولاة والربيع بن خيثم وسعيد بن المسيب، وأورد فيه ثلاث روايات مسندة.

وكان يذكر علة كل قول من الأقوال الستة السابقة، ويبين دليله وبرهانه، ثم بعد ذلك رجح أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر مستدلاً بأحاديث أخرى عن رسول الله ﷺ فقال: (قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ التي ذكرناها قبل في تأويله: وهو أنها العصر.

والذي حث الله تعالى ذكره عليه من ذلك، نظير الذي روي عن رسول الله ﷺ في الحث عليه. كما: -

حدثني به أحمد بن محمد بن حبيب الطوسي قال، حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا أبي، عن محمد بن إسحاق قال، حدثني يزيد بن أبي حبيب، عن خير بن نعيم الحضرمي، عن عبد الله بن هبيرة، عن أبي تميم الجيشاني، عن أبي بصرة الغفاري قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة العصر، فلما انصرف قال: إن هذه الصلاة فرضت على من كان قبلكم فتوانوا فيها وتركوها، فمن صلاها منكم أضعف أجره ضعفين، ولا صلاة بعدها حتى يرى الشاهد، والشاهد: النجم.

حدثني علي بن داود قال: حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني الليث قال، حدثني خير بن نعيم، عن ابن هبيرة، عن أبي تميم الجيشاني: أن أبا بصرة الغفاري قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة العصر بالمخمس فقال: إن هذه الصلاة فرضت على من كان قبلكم فضيعوها وتركوها، فمن حافظ عليها منكم أوتي أجرها مرتين.

وقال ﷺ: "بكروا بالصلاة في يوم الغيم، فإنه من فاتته العصر حبط عمله".

#### استنتاجات:

١- نرى أن الامام الطبري قد فسر الآية بأحاديث مرفوعة لرسول الله ﷺ وأقوال موقوفة على الصحابة والتابعين، من هذه الأحاديث والأقوال ما هو صحيح ومنها ما هو ضعيف، وكانت الروايات التي أوردها مئة وتسع عشرة رواية، وقد ملأت ستين صفحة من التفسير الذي حققه محمود شاكر.

٢- وذكر الروايات أبرز سمة في تفسير الطبري إذ يبدأ تفسير الآية بمشدد الروايات المسنده عن النبي عليه الصلاة والسلام وعن الصحابة والتابعين، وفي غالب الأحيان يذكر المعنى الذي يستنبطه من الروايات والذي يرجحه، ثم يذكر الروايات التي تخالفها إن وجدت، فالترجيح بالروايات هو أقوى مرجحات الطبري لما يختاره من المعاني التي يستنبطها.

٣- وعلى الرغم من أمانته في ذكر الأسانيد إلا أنه لم يتوجه إليها بالنقد إلا في القليل النادر، ولعل دافعه الى ذلك أنه ساق السند بتمامه ومن أسند لك فقد حملك أمانة البحث عن رجال السند، وبالتالي فقد أحلى عهده.

طريق الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية (البقرة: ٢٣٨): وخصّ تعالى من بينها بمزيد التأكيد الصلاة الوسطى. وقد اختلف السلف والخلف فيها: أي صلاة هي؟ فقيل: إنها الصبح. حكاه مالك في الموطأ بلاغا عن علي، وابن عباس قال مالك: وذلك رأيي وقال هشيم، وابن علية، وغندر، وابن أبي عدي، وعبد الوهاب، وشريك وغيرهم، عن عوف الأعرابي، عن أبي رجاء العطاردي قال: صليت خلف ابن عباس الفجر، فقنت فيها، ورفع يديه، ثم قال: هذه الصلاة الوسطى التي أمرنا أن نقوم فيها قانتين. رواه ابن جرير. ورواه أيضا من حديث عوف، عن خلاص بن عمرو، عن ابن عباس، مثله سواء.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا عبد الوهاب، حدثنا عوف، عن أبي المنهال، عن أبي العالية، عن ابن عباس: أنه صلى الغداة في مسجد البصرة، فقنت قبل الركوع وقال: هذه الصلاة الوسطى التي ذكرها الله في كتابه فقال: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) البقرة: ٢٣٨. وقال أيضا: حدثنا محمد بن عيسى الدامغاني، أخبرنا ابن المبارك، أخبرنا الربيع بن أنس، عن أبي العالية قال: صليت خلف عبد الله بن قيس بالبصرة صلاة الغداة، فقلت لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ، إلى جاني: ما الصلاة الوسطى؟ قال: هذه الصلاة.

وروي من طريق أخرى عن الربيع، عن أبي العالية: أنه صلى مع أصحاب رسول الله ﷺ، صلاة الغداة، فلما فرغوا قال، قلت لهم: أيتها الصلاة الوسطى؟ قالوا: التي قد صليتها قبل وقال أيضا: حدثنا ابن بشار، حدثنا ابن عمته، عن سعيد بن بشير، عن قتادة، عن جابر بن عبد الله قال: الصلاة الوسطى: صلاة الصبح. وحكاه ابن أبي حاتم، عن ابن عمر، وأبي أمامة، وأنس، وأبي العالية، وعبيد بن عمير، وعطاء، ومجاهد، وجابر بن زيد، وعكرمة، والربيع بن أنس. ورواه ابن جرير، عن عبد الله بن شداد بن الهاد أيضا وهو الذي نص عليه الشافعي، رحمه الله، محتجا بقوله: وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) البقرة: ٢٣٨. والقنوت عنده في صلاة الصبح.

#### استنتاجات:

- ١- يذكر عدة أحاديث مفسرة للآية، بأسانيدها، ويقوم بتخريجها، ويعدل ويرجح رواها خاصة وأنه يعد من المحدثين.
- ٢- يذكر أقوال الصحابة، والتابعين، والسلف، ويبين الصحيح منها، أو الأصح والمردود منها.

٣- يتعرض لآراء الفقهاء في آيات الأحكام، ويأتي بدليل كل منهم، وأحيانا يرجح دون إعطاء رأيه الخاص.

مقارنة بين طريقة كلا التفسيرين من الطبري وابن كثير في تفسير هذتين الآيتين:

أوجه الشبه:

١- ذكر كل منهما حديث بسنده، ثم قوى كل منهما السند الذي جاء به بسند آخر، فابن جرير ذكر سندا آخر

يقوي حديث مجاهد، وذكر ابن كثير حديث ابن عباس وقواه بطريق أخرى.

٢- هما متفقان في معنى الآية.

٣- روى ابن جرير حديث ابن عباس، والضحاك، وأبو العالية، والربيع، والحسن، وأشار ابن كثير إليهم كذلك.

أوجه الاختلاف:

١- تعرض ابن جرير لناحية الإعراب في كلمة "يتخذ"، بينما ابن كثير لم يذكرها.

٢- اعتمد ابن جرير في بيان مراد الله تعالى من الآية، على أقوال الصحابة، بينما ابن كثير اعتمد أكثر على الآيات

القرآنية لتوضيح المراد.

٣- ذكر ابن جرير أقوال الصحابة بالسند، والمتن، غير أن ابن كثير لم يذكر السند أصلا في تفسير هذه الآية وذلك

راجع في رأينا أن ابن جرير يعتبر الخلاف اليسير في المتن، وابن كثير لا يعتبره بذلك ذكر بعض المتن دون بعض.

٤- تعرض ابن جرير لمعنى آخر مخالف لما ذهب إليه في "إلا أن تتقوا منه تقاة"، واكتفى ابن كثير بالمعنى الذي يوافق ما

ذهب إليه.

٥- تعرض ابن جرير للقراءات المختلفة في كلمة "تقاة"، ولم يذكرها ابن كثير.

٦- جزء ابن جرير الآية إلى جزئين، وفسرها ابن كثير مجزءا إياها إلى خمسة أجزاء.

٧- يفتتح ابن جرير السند بحدثي، أو حدثنا، لكنه في رأينا قريبا من عهد التابعين، أما ابن كثير فلبعده عن القرون

الأولى لم يفتتح السند بذلك.

٨- انفرد ابن جرير بالرواية عن مجاهد، وانفرد ابن كثير بالنقل عن البخاري.

## الخاتمة والنتائج:

من خلال تناول هذا الموضوع توصلت الدراسة إلى عدة نتائج:

- ١- إنّ الإمامين اتفقا في تفسير القرآن بالقرآن والسنة النبوية والمأثور عن السلف الصالح، فالمنهجان جمعا بين الخطّين الأساسيين في التفسير، خط التفسير بالأثر عن الصحابة والتابعين وخط التفسير البياني.
- ٢- أن اختلاف المفسرين يعتبر عن اتساع النص القرآني وتنوع طرائق التعبير وسموها إلى درجة الإعجاز، نجد أن الإمام الطبري يعتني باللغة العربية أكثر من أمام ابن كثير.
- ٣- امتاز الإمام ابن كثير بسهولة عباراته وإيجاز صياغته التي لا تحتاج إلى كثير عناء لتحصيل المعنى المراد، أما الإمام ابن جرير الطبري عندما يريد بيان المعنى يقول القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا، وقول ذكر من قال ذلك ويذكر السند بأكمله.
- ٤- ومنها الإختلاف في ذكر الإسرائيليات، فإمام ابن جرير الطبري يكثر من ذكرها وأما الإمام ابن كثير فيذكرها للإستدلال لا للإعتقاد
- ٥- بينما الإمام الطبري لا يعتمد في تفسيره على تفسير القرآن بالقرآن كمصدر أول من مصادر التفسير نجد الإمام ابن كثير اعتمد هذا المصدر واهتم به اهتماما كبيرا ففسر القرآن بالقرآن أولا ما وجد إلى ذلك سبيلا.
- ٦- الإمام الطبري يورد بعض الأحاديث الضعيفة بدون مناقشة لها أو تضعيف في الغالب أما الإمام ابن كثير يقلل من ذكر الأحاديث الضعيفة، ويناقشها ويبين ضعفها في كثير من المواضع.

## References

- ‘Abd Al-Jawwād Khalaf. *Madkhal Ilā Tafsiṛ Wa ‘Ulūm Al-Qur’ān*. N. Ed. Cairo: Dār Al-Bayān. 2003.
- ‘Abidīn Tawfiq. *Manāhij Al-Dirāsāt Al-Islāmiyyah*. Vol. 14. N. C. Majallah Jāmi’ah Al-Qur’ān Al-Karīm Wa Al-‘Ulūm Al-Islāmiyyah, 1428/2007.
- Ādil Nuwayhid. *Mu’jam Al-Mufasssīrīn*. N. Ed. Beirut: Mu’assasah Nuwayhid Al-Thaqafiyyah Li Al-Ta’līf Wa Al-Tarjamah Wa Al-Nashr, 1988.

- Al-Aṣḥāhānī, Muḥammad ‘Alī Al-Raḍā’ī. *Manāhij Al-Tafsīr Wattijāhātuh Dirāsah Muqāranah Fī Tafsīr Al-Qur’ān*. 3<sup>rd</sup> ed. Beirut: Shabkah Al-Fikr, 2000.
- Al-Damardāsh and Munīr. *Falsafah Al-Tarbiyyah*. Vol. 14. N. C. Majallah Jāmi’ah Al-Qur’ān Al-Karīm Wa Al-‘Ulūm Al-Islāmiyyah, N. D.
- Al-Dzahabī, Muḥammad Ḥusain. *Al-Tafsīr Wa Al-Mufasssīrūn*. 2<sup>nd</sup> ed. Cairo: Maktabah Wahbah, 1987.
- Al-Juwaynī, Mustafā Al-Ṣāwī. *Manāhij Fī Al-Tafsīr*. N. Ed. Mansha’ah Al-Ma’ārif Al-Silsilah Al-Dirāsāt Al-Qur’āniyyah. 1990.
- Al-Khālīdī, Ṣalāḥ ‘Abd Al-Fattāḥ. *Ta’rīf Al-Dārisīn Bi Manāhij Al-Mufasssīrīn*. N. Ed. Damascus: Dār Al-Qalam. 2004.
- Al-Suyūṭī, Jalāl Al-Dīn. *Al-Itqān Fī Ulūm Al-Qur’ān*. N. Ed. Cairo: Al-Hai’ah Al-Miṣriyyah Al-‘Āmmah Li Al-Kitāb, 1973.
- Al-Ṭabarī, Abū Ja’far Muḥammad Bin Jarīr Bin Yazīd Kathīr Bin Ghālib Al-Āmalī. *Jāmi’ Al-Bayān Fī Ta’wīl Al-Qur’ān*. 1<sup>st</sup> ed. N. C. Mu’assasah Al-Risālah, 2000.
- Ibn Kathīr, Abū Al-Fidā’ ‘Imād Al-Dīn Ismā’īl Bin ‘Umar. *Faḍa’il Al-Qur’ān*. 1<sup>st</sup> ed. Maktabah Ibn Taymiyyah. 1416.
- Ibn Kathīr, Abū Al-Fidā’ Ismā’īl Bin ‘Umar Bin Kathīr Al-Qurashī Al-Baṣarī Thumma Al-Dimashqī. *Tafsīr Al-Qur’ān Al-‘Azīm*. 2<sup>nd</sup> ed. N. C. Dār Ṭayyibah Li Al-Nashr Wa Al-Tawzī’. 1999.
- Majma’ Al-Lughah Al-‘Arbiyyah. *Al-Mu’jam Al-Wasīt*, N. Ed. Maktabah Al-Syurūq Al-Dawliyyah. 2004.